المعجزة الكونيّة ودلالتها على الرّسالة عند مصطفى صبري

بقلم

محمد عمارة (*)، أ.د/ العربي بن الشيخ (**)

ملخص

يعد هذا المقال من جملة البحوث العقدية، حيث يبين موقف العقل من المعجزة الكونية، والتي تمثل الدليل الأقوى على إثبات رسالة الرسول – من قبل الله تعالى إلى قومه هذا من جهة، كذلك يرد على بعض مفكري المسلمين الذين تأثروا بالتيار العقلي الغربي مما أدى بالبعض منهم إلى إنكار المعجزة الكونية لمخالفتها للعقل وقوانين الطبيعة والعلم التجريبي الذي يبحث في الماديات والمحسوسات وخاصة بعد النهضة العلمية والاكتشافات الحديثة وسيادة المنهج التجريبي في البحث العلمي، وممن تناول هذا الموضوع متصديا لهؤلاء المنكرين مصطفى صبري؛ حيث سيتجلى في هذا المقال موقفه من منكري المعجزة الكونية، فبدأ بحثه بتعريفها أولا ثم استدل بها على إثبات رسالة الرسول –، ثم رد على الذين لم يستوعبوها.

الكلمات المفتاحية: المعجزة الكونية؛ الرسالة؛ الدليل العقدي؛ الدليل التجريبي؛ مصطفى صبري.

(*) باحث في مرحلة الدكتوراه علوم بقسم أصول الدين، كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1، وأستاذ مساعد"أ" بقسم أصول الدين، معهد العلوم الإسلامية، وعضو مخبر إسهامات علماء الجزائر في الدراسات الإسلامية بجامعة الوادي. amaralazhar@gmail.com

(**) أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة 1 – bclarbi@hotmail.com

المقدمة

تعتبر المعجزة إحدى أقوى الأدلة على إثبات صدق الرسول ﷺ عبر العصور زيادة على دلائل أخرى كالسيرة الذاتية التي تبرز أخلاقه وصفاته منها العصمة ومحتوى الرسالة التي جاء بها كالقرآن الكريم، ولكن في هذا الموضوع نركز على المعجزة الكونية التي يشاهدها القوم أمامهم كمعجزة العصا لموسى ﷺ فآمن بها السحرة وأنكرها فرعون لتكبره وعناده، وما وقع لنبينا محمد ﷺ من المعجزات الكونية كانشقاق القمر، والإسراء والمعراج وغيرها مما ورد في القرآن والسنة الصحيحة.

وفي العصر الحديث ظهر مفكرون مسلمون أنكروا المعجزات الكونية الحسية رغم إيمانهم بالقرآن الكريم بأنه المعجزة العقلية الخالدة، وذلك تأثرا بما ظهر في الغرب من مذاهب فلسفية، وممن تصدى لهؤلاء المنكرين الشيخ مصطفى صبري[1]، حيث رد عليهم بما يناسب مذهبهم وعقولهم فقد استند إلى الدليل العقلي والتجريبي، واستأنس بأقوال بعض الفلاسفة الغربيين الذين تتلمذ عليهم هؤلاء المنكرون ولكن الذي يتعجب له المسلم هو إنكار هؤلاء للمعجزة الكونية، وليس العجب في إنكارها من قبل مفكري الغرب ومستشرقيه، فقد سخر الله تعالى لهؤلاء أحد علماء الإسلام في عصرهم للرد عليهم بردود علمية وعقلية وفلسفية.

ففي هذا الموضوع يمكننا إبراز مدى توفيق مصطفى صبري في تقديم وجه دلالة المعجزة على إثبات الرسالة ورده على منكري المعجزة الكونية، ومن خلال هذه الدراسة التي قدمها مصطفى صبري هل يمكن: **استمرار صلاحية استعمال المعجزة الكونية في إثبات الرسالة، والرد على منكري المعجزة؟**

بتتبع أقوال مصطفى صبري في هذا المضمار سيتبين مدى إمكانية ثبوت ذلك، حيث سنعالج الموضوع وفق العناصر الآتية:

أولا: مفهوم المعجزة.

ثانيا: دلالة المعجزة على إثبات الرسالة.

ثالثا: الرد على منكري المعجزة الكونية.

أولا: مفهوم المعجزة

في هذا العنصر سنتناول تعريف المعجزة لغة واصطلاحا ثم بيان شروطها الأساسية.

1/ تعريف المعجزة: نعرف المعجزة لغة واصطلاحا.

أ- المعجزة لغة: المعجزة من العجز وهو ضد القدرة وهو عدم استطاعة الإنسان الإتيان بشيء خارق يفوق طاقته[2].

ب- المعجزة اصطلاحا: هي أمر ممكن عقلا خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد رسوله يفوق طاقة البشر ويخرق قوانين الكون وخواص المادة، يتحدى بها قومه فلا يقدر أحد على معارضتها وذلك لإثبات صدقه وصحة رسالته.[3]

وقد عرفها مصطفى صبري بقوله: «أن المعجزة لا بد أن تكون خارقة لنظام العالم، وإلا لا تكون معجزة بمعناها الحقيقي»[4]، عند ملاحظتنا للتعريف اللغوي نجد أن اللفظ يركز على عدم القدرة وهذا الخطاب للإنسان العاقل، لأن هناك أمور في مقدور الإنسان كالصناعات، ولكن توجد أمور أخرى خارجة عن نطاقه كأن يصنع تمثالا ولا يستطيع نفخ الروح فيه كما يفعل عيسى عليه السلام، لأن ذلك بإذن الله.

كذلك نلاحظ في التعريف الاصطلاحي عدة أمور منها أن المعجزة من الممكنات العقلية وليست من المستحيلات وأنها تخرق العادة الجارية عند الناس، وأن ظهورها على يد رسول عليه السلام وذلك لإثبات صدقه.

ونلاحظ في تعريف مصطفى صبري تركيزه على أن تكون المعجزة خارقة لنظام الكون، لأن هذا الأمر هو الأساس في المعجزة والملفت للانتباه والذي يكمن فيه عجز الإنسان العادي على المعارضة وعدم الإتيان بمثله، كذلك يكمن فيه أن هذا الأمر الخارق لا يستطيع الرسول عليه السلام بنفسه أن يفعله مما يدل على أن هناك قوة خارجة على نطاقه فعلت له هذا الأمر وهي قدرة الله تعالى مما يثبت العلاقة بينه وبين الله تعالى في إثبات الإرسال لقومه.

2- شروط المعجزة: استنتج العلماء شروطا للمعجزة نذكرها كالآتي[5]:

- أن تكون ممكنًا عقلا.
- أن تكون من فعل الله تعالى
- أن تخرق قوانين الكون
- عدم القدرة على معارضتها.

هذه الشروط أساسية في المعجزة حتى تثبت صدق الرسول ﷺ وصحة دعوته.

فالشرط الأول يركز على أنها من الممكنات العقلية فهي ليست بالمستحيلات وقد بين مصطفى صبري أنها من الممكنات العقلية فقال: «فلا شبهة في إمكان المعجزات»[6]، ثم بين أن هذه الممكنات تقع نادرة ولذلك يستعظمها الناس فقال: «وقد يكون الممكن أمرا عظيما تقصر التجربة عن الوصول إليه، فيظنه قصير العقل مستحيلا».[7]

وأما الشرط الثاني أن تكون من فعل الله تعالى، فركز هذا الشرط على العلاقة بين الرسولﷺ والله تعالى، لأن هذا الأمر الخارق لا يمكن للإنسان بطبيعة أن يأتي به إلا بالاستعانة بقدرة تفوق قدرة البشر يقول مصطفى صبري في هذا المعنى «بل التحقيق أنه إذا وقع الإحراق فليس ذلك من النار إذ الفاعل الحقيقي في كل شيء هو الله وليس في الكون مؤثر غيره»[8]، ثم يقول بشأن المعجزة: «فإذن يكون منشأ إنكار المعجزات واستبعاد وقوعها إن لم تكن عقيدة المنكر المستبعد في نظام العالم أنه من طبيعة الأشياء لا يقبل الانفكاك عنها وليس يجعل اختياري من الله حماقة محضة إذ لا بد إذا كان الله جاعل نظام العالم وكان مختارا في جعله أن يقدر على تغييره متى شاء ذلك».[9]، فقد بين مصطفى صبري أن المعجزة فعل من الله تعالى.

أما الشرط الثالث وهو شرط ظاهر للعيان ومشاهد بالحسن، لأن فيه تغيير ما اعتاده الناس في الكون وهو عكس ما اعتاده الناس وهو خرق نظامه وقانونه مما يجعل الناس يتهمون الرسول ﷺ بالسحر والمعجزة خلاف السحر، وهذا الشرط هو الأساس في المعجزة ولذلك ركز عليها مصطفى صبري فقال: «أن المعجزة لا بد أن تكون خارقة لنظام العالم وإلا لا تكون معجزة بمعناها الحقيقي»[10]، فخرق قوانين الطبيعة من مهام المعجزة

حتى تلفت الانتباه وتأكد صدق الرسول ﷺ ولذلك اعتبرها مصطفى صبري شرطا أساسيا في المعجزة الكونية الحسية.

وأما الشرط الرابع فهذا الشرط موجه للإنسان الذي وهبه الله تعالى العقل وحواس الإدراك والأعضاء التي يتحرك بها وله قدرة محدودة يفعل بها ما شاء في نطاق مشيئة الله تعالى ونظام كونه رغم ذلك فإن هذا الإنسان يرى بأم عينه وأمامه هذه المعجزة الكونية، ولكن لا يستطيع أن يعارضها أو يأتي بمثلها وهذا ما وقع لفرعون عندما أراد أن يعارض معجزة موسى ﷺ عن طريق السحرة فلم يستطيعوا لذلك سبيلا فعرفوا أن الذي جاء به موسى ﷺ ليس سحرا كما يزعم فرعون بل هو معجزة من الله تعالى ولذلك سجد له السحرة وآمنوا به وخاب فرعون وجنوده، يقول مصطفى صبري في هذا المعنى عن معجزة موسى ﷺ «ولا شك أن الله الذي فطر السموات والأرض لا يصعب عليه أن يرسل إلى بني آدم الذين هو خالقهم أيضا رسولا منهم فيوحي إليه ما يشاء، وأن يظهر على يديه خارقة من خوارق العادات كخلق ثعبان من العصا وهو خالق العصا والثعبان وجميع العالم من عدم»[11]، حيث بين مصطفى صبري قدرة الله تعالى على تأييد أنبيائه عليهم السلام بالخوارق الكونية حتى لا يستطيع بشر ولو كان ساحرا أو عالما أن يأتي بمثل المعجزة أو معارضتها مثل ما فعل الله تعالى لموسى ﷺ في خلق الثعبان من العصا.

كذلك أن الله تعالى تحدي العرب الفصحاء بأن يأتوا بمثل القرآن فقال تعالى: ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾[12]، فهذه مجمل الشروط الأساسية التي ذكرها العلماء في المعجزة وسنتحدث فيما يلي عن دلالة المعجزة على إثبات رسالة الرسول ﷺ وصدقه وصحة ما جاء به عن الله تعالى.

ثانيا: دلالة المعجزة على إثبات الرسالة

ينطلق مصطفى صبري في إثبات الرسالة من الدليل العقلي حيث يقول: «أن وجود الله يثبت أولا بدليل عقلي ضروري ثم يثبت إمكان السمعيات مثل النبوة والمعجزة والآخرة بدليل عقلي أيضا مبني على وجود الله ثم يثبت وقوعها بإخبارات الأنبياء المؤيدين

بالمعجزات»[13]، حيث بين مصطفى صبري أن الدليل العقلي يثبت به وجود الله تعالى أولا ثم يثبت به إرسال الرسل عليهم السلام عن طريق المعجزة لأن الله تعالى أيدهم بالمعجزة لتصديقهم ثم إثبات السمعيات والأخبار الغيبية كاليوم الآخر عن طريق ما يخبرون به بواسطة الوحي.

زاوج مصطفى صبري بين الدليل العقلي والدليل التجريبي تماشيا مع عصره الذي ساد فيه المنهج التجريبي والذي تأثر به المسلمون واستعماله في مناهج بحثهم وهو العصر الذي ساد فيه المذهب العقلاني الذي يعتمد على العقل والحس والتجربة والواقع وظهور فلاسفة الغرب وبعض المستغربين من العرب والمسلمين والمستشرقين فقد خاطبهم مصطفى صبري بهذا المنطق واستخدم المنهج التجريبي في إثبات المعجزة الكونية فقال: «ومع أن النبوة لا يقوم عليها دليل يفيد الوجوب والضرورة المنطقية فهي واقعة تستند إلى التجربة التي يعتبرها العصريون الدليل العلمي، غير أن النبوة لا يجربها إلا النبي نفسه، وغير النبي يجربها بمعجزته وتقوم المعجزة مقام تجربة نبوته، ومن هنا يعلم أن المعجزة لا تنفك عن النبوة، ويعلم أيضا تفوق الدليل العقلي على الدليل التجريبي، حيث يثبت بالأول وجود الله الواجب الوجود، وبالثاني وجود النبي غير واجب الوجود بالأدلة التجريبية التي تفيد ما دون الوجوب أعني الوجود العادي الوقوعي»[14] حيث يبين مصطفى صبري أنه يمكن إثبات الرسالة عن طريق التجربة الحسية وهي ظهور المعجزة أمام الناس يشاهدونها بأعينهم وهو دليل تجريبي حسي واقعي ملموس ومنه يستدل بواسطته على صدق الرسول ﷺ وذلك بالاستنتاج العقلي ومنه يكون مصطفى صبري استخدم الدليل التجريبي مع الدليل العقلي في إثبات الرسالة مع أن الدليل العقلي أقوى من الدليل التجريبي لأن الدليل العقلي يستخدم في إثبات الله تعالى وهو واجب الوجود، والدليل التجريبي يستخدم في إثبات الرسول ﷺ وهو ممكن الوجود والواجب أقوى من الممكن.[15]

فقد بين مصطفى صبري للعصريين الذين يؤمنون بالدليل التجريبي بأن المعجزة تستند إلى التجربة لأنها أمر مشاهد ومحسوس، ولذلك أنزلها مصطفى صبري منزلة التجربة في

عصره، فالمجتمعات التي بعث فيهم الرسول ﷺ وشاهدوا معجزاته فهي بالنسبة إليهم تعتبر تجارب الأمم والمجتمعات الشاهدة على ظهور المعجزة، يقول مصطفى صبري: «على أن التجارب الماضية من مختلف الأمم في أزمنة الأنبياء تشهد بوقوع المعجزات فوجود الأنبياء المعروفين عليهم السلام وشهود الناس بمعجزاتهم ثابتان على أن لا يكون ثبوتهما دون ثبوت أي رجل من رجال التاريخ ووقائعه المشاهير»[16]، حيث بين بتجارب الأمم السابقة والتي تكررت عدة مرات عبر الأزمان أن التجربة التاريخية أثبتت وقوع المعجزات الحسية فضلا عن ورودها في القرآن والسنة، فهي دليل تجريبي للناس على إثبات صدق الرسول ﷺ ودور العقل[17] هنا الربط بين المعجزة وبين النبوة وأن الرابط بينهما هو التصديق إذن فالمعجزة دليل صدق الرسول ﷺ أنه مبعوث من الله تعالى، فما وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ؟ وهذا ما سنتناوله فيما يأتي:

1/ وجه دلالة المعجزة:

ودلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ حيث أنها من فعل الله تعالى للرسول ﷺ لتأييده فهي تنزل منزلة قوله (صدق عبدي فيما يبلغ عني)[18]، كما يضرب المثل برسول الملك إلى رعيته قال مصطفى صبري في هذا: «كما يبعث الملك عامله إلى رعيته بمرسوم من عنده، إذا نظرنا فإن إرسال الرسل إلى الناس وجعلهم ممتازين ببعض المعجزات التي هي أوسمة رسالتهم، أسهل من خلق معجزة العقل في الإنسان، وجعل نوعه ممتاز بها، لأن الأول من هذين الأمرين في متناول القدرة البشرية أيضا فيستطيع الملك أن يرسل رسولا إلى شعبه ويخصه بمرسوم منه لا يوجد في يد غيره»[19]، ثم يقول: «لأن رمز الله ووسامه على رسوله هو معجزته الخارقة لسنن الكون الطبيعية».[20]

حيث بين مصطفى صبري الربط بين المعجزة والنبوة عن طريق المثال على أن الملك عندما يبعث رسوله إلى رعيته وحتى يصدقوه بأن يخصه بمرسوم لا يوجد عند غيره فبواسطة هذا المرسوم المتميز صدقه رعيته ولولاه ما صدقوه، ولله المثل الأعلى حيث يبعث رسوله ﷺ إلى خلقه ويؤيده بالمعجزة والتي عبر عنها مصطفى صبري بأنها رمز الله ووسامه على

رسوله، فمتى ظهرت المعجزة الخارقة[21]، على يديه صدقوه بأنه مرسل من قبل الله تعالى، لأن المعجزة تستند إلى الله تعالى وهذا ما سنتحدث عنه فيما يلي:

2/ استناد المعجزة على الله تعالى:

المعجزة من خوارق الكون وهي من الممكنات العقلية وهي خاصة بالرسول ﷺ لتميزه عن غيره ودليلا لصدقه وهي من فعل الله تعالى حيث تنزل منزلة التصديق بالقول مما يؤكد العلاقة بين الرسول ﷺ والمعجزة وفاعل المعجزة وهو الله تعالى فهي ليست من فعل الرسول ﷺ حقيقة وإنما من فعل الله تعالى له يجريها على يديه لإثبات صدقه[22]، فهي تسند إلى قدرة الله تعالى؛ لأنه هو القادر الوحيد على خرق نظام الكون دون غيره من المخلوقات مهما كانت قدرته وعلمه وخصائصه ومميزاته يقول مصطفى صبري: «أما إثبات إمكان النبوة والمعجزة والنشأة الثانية فمن أسهل الأمور بعد ثبوت وجود الله تعالى القادر على كل شيء».[23]، حيث بين أن إثبات النبوة والمعجزة يستند إلى وجود الله تعالى، لأنه هو القادر على كل شيء فالمعجزة في ظهورها على يد الرسول ﷺ تستند إلى الله تعالى لا إلى الرسول ﷺ نفسه، لأن الله تعالى هو الذي يخلق له الفعل لتأييده فالرسول عندما تظهر المعجزة على يديه لا يدعي أنه هو الذي فعلها بنفسه وإنما يقول أنها من الله تعالى كما قال عيسى ﷺ لقومه في إظهار معجزاته قال تعالى على لسانه: ﴿**وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[24]، فقد أسند المعجزة إلى الله تعالى ولم يسندها لنفسه، يقول مصطفى صبري: «فالمعجزات الكونية الظاهرة على أيدي الأنبياء أفعاله تعالى المؤيدة لهم»[25]، فالمعجزة من شروطها أنها تكون من فعل الله تعالى، كذلك من شروطها أنها تخرق الكون فواضح قوانين الكون هو الوحيد الذي يستطيع خرقه وذلك بقدرته وإرادته وعلمه واختياره تعالى فيظهرها متى شاء على أيدي رسله عليهم السلام لكي يصدقوهم[26]، بدليل أن الذي أرسلهم أيدهم بمعجزاته الخارقة لقوانين الكون وهي من فعله، لأنه نقض قانونا هو نفسه الذي وضعه يقول مصطفى صبري: «فنظام العالم الذي اتخذناه

في الباب الأول من هذا الكتاب دليلا على وجود الله تعالى الذي هو واضح النظام، يكون تغييره الذي نعبر عنه بالمعجزة والذي هو أيضا نظام من الله، لكن نظام خاص استثنائي دليلا على وجود أنبيائه ومن هذا يمكننا أن نعد تأييد الأنبياء بالمعجزات من سنن الله أيضا»[27]، حيث بين مصطفى صبري أن نظام الكون يستدل به على وجود الله تعالى وخرق قانون من قوانينه يستدل به على إثبات الرسالة، لوجود العلاقة بينهما وهو الإرسال والمعجزة كلاهما من الله تعالى واضع قوانين الكون.

وقد أيد مصطفى صبري كلامه بأقوال فلاسفة وعلماء الغرب على قدرة الله تعالى في خرقه لقوانين الكون لكي يبين لبعض المستغربين من العرب والمسلمين المنكرين للمعجزات الكونين والمتأثرين بالثقافة الغربية اقتداء بعلماء وفلاسفة الغرب من أصحاب المنهج التجريبي فمنهم من يعترف بخرق قوانين الكون عن طريق واضعها وليس ذلك مستحيلا، ثم ساق مصطفى صبري أقوال بعض الفلاسفة منهم:

– الفيلسوف(مالبرانش) حيث يقول[28]: «إنما نرى نحن توالي الحادثات ولا نرى الرابطة التي تربط أحد الطرفين بالآخر، فلماذا تبقى هذه الرابطة مستخفية عنا؟ لكونها شيئا إلهيا لا يوجد مثله في المخلوقات»[29]، ثم ساق مصطفى صبري قول الفيلسوف (استوارت ميل)[30]، حيث قال: « إن الله الذي أوجد سلسلة الأسباب والعلل قادر على تعطيل عمل هذه السلسلة، فلا تكون المعجزة خارقة للعادة بهذا الاعتبار ولا يختل قانون السببية فسبب المعجزة إرادة الله»[31]، ثم علق مصطفى صبري على كلام هذا الفيلسوف الأخير بقوله: «ومراده من عدم كون المعجزة خارقة أنها غير مخلة بقانون السببية وهي الناحية المهمة للمسألة، لوجود سببها هو إرادة الله وإلا فالمعجزة تخرق العادة بتعطيل عمل سلسلة الأسباب»[32]، فبين أن المعجزة خارقة لقانون الكون دون أن تختل موازين الكون، لأنها أمر استثنائي وأن فاعلها الله تعالى بعلمه وحكمته.

مما سبق يتبين لنا أن مصطفى صبري بين بالدليل العقلي والتجريبي أن المعجزة دالة على إثبات رسالة الرسول ﷺ، وذلك أن المعجزة خارقة لقوانين الكون مما يدل على أن الذي بعثه

هو نفسه الذي وضع قوانين الكون وهو الله تعالى لا غير، وأنه لا يستطيع أي مخلوق مهما كان أن يعارض المعجزة أو يأتي بمثلها أو يبطلها ومن هنا يربط العقل بين المعجزة ومن ظهرت على يديه فنستنتج بأنه صادق في أقواله ورسالته.[33]

كذلك بين مصطفى صبري أن المعجزة الحسية التي يشاهدها الناس بمثابة الدليل التجريبي عن العصر الحديث والمنهج العلمي الحديث في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية والدليل التجريبي مثله مثل العقل حيث يربط المعجزة بالنبوة فمتى ظهرت المعجزة لدى الأنبياء السابقين دلت على صدقهم وبذلك تثبت نبوتهم، ومن المعجزات التي بقيت خالدة عبر الأزمان معجزة القرآن الكريم وهي معجزة عقلية لمن تدربها دلت على إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ وهي بدورها أثبتت المعجزات الحسية السابقة للأنبياء السابقين عليهم السلام.

كذلك إن مصطفى صبري دعم كلامه بأقوال فلاسفة الغرب[34] حتى يبين لبعض المستغربين أن الذين تأثرتم بهم من علماء ومفكرين وفلاسفة غربيين منهم من يقر بأن المعجزة الحسية الخارقة الكون ممكنة وليست مستحيلة، وأن الفاعل هو الله تعالى الذي وضع قوانين الكون قادر على تعطيل قانون من قوانينه دون أن يختل الكون وذلك بحكمته تعالى وقدرته وعلمه، ثم تولى مصطفى صبري الرد على منكري المعجزة الكونية وهذا ما سنتناوله فيما يأتي:

ثالثا: الرد على منكري المعجزة الكونية

ظهر في العصر الحديث بعض المفكرين المسلمين تأثروا بالحضارة الغربية وبالمنهج العلمي الغربي وخاصة المنهج التجريبي، وجعل العقل هو المقياس لإثبات الأشياء، وخاصة ما تعلق بالأمور الغيبية فقد أنكروا المعجزات الكونية الحسية التي ظهرت في عهد النبوة كانشقاق القمر والإسراء والمعراج رغم ورودهما في القرآن فألوهما تأويلا بعيدا لم يقل به والقرآن وضعفوا الأحاديث التي وردت بشأن المعجزات الحسية رغم إيمانهم بمعجزة القرآن الخالدة باعتبارها معجزة عقلية، وقد رد مصطفى صبري على بعض المفكرين المسلمين ولكن نركز على نموذجين هما محمد فريد وجدي[35] ومحمد حسين هيكل.[36]

قال مصطفى صبري: «ولقد سلك منكرو معجزات نبينا غير القرآن مسلكا وعرا جرهم على القدح في كتب الأحاديث والسير ثم القدح في معجزات الأنبياء السابقين».[37]

وفي مسالة تأويل آيات المعجزات الحسية قال عنهم: «قد بينا ما في آيتي القمر من مؤيدات وقوع انشقاق القمر، بل وقوع غيرها أيضا، وأبطلنا تأويل المنكرين المتعمدين والغافلين»[38]، ثم بين أسباب إنكار المعجزات الكونية ورد عليهم بأدلة عقلية حيث نبين أسباب إنكارهم ثم ردود مصطفى صبري عليهم.

1/ أسباب إنكار المعجزة الحسية:

ركزه مصطفى على سببين رئيسيين الأول عقلي والثاني حسي حيث أورد كلام المنكرين وبين أسباب إنكارهم ثم رد عليهم بالأدلة العقلية.

أ- السبب الأول (عقلي):

وهو أن المعجزة الحسية مستحيلة عقلا قال مصطفى صبري: «فلا شبهة في إمكان المعجزات، والذين ادعوا أنها محالات عقلية كالأستاذ فريد وجدي،...»[39]، وقال عنه في موضع أخر: «وكان الأستاذ فريد وجدي بك وهو من غلاة منكري المعجزات بدعوى أنها مخالفة للعقل».[40]

ب- السبب الثاني (حسي):

وهو أن المعجزة الحسية إن وقعت فهي مخالفة للقوانين الطبيعية وهذا ما لم يقع وهو تناقض لا يقبله الحس، قال مصطفى صبري: «والنظام الأول العام هو الذي يسمونه القوانين الطبيعية والذي يزعم منكرو المعجزات أنه لا يمكن تغييرها»[41]، وقال مصطفى صبري: «ومؤلف (حياة محمد)كتبها مقتنعا بفكرة يحسبها فكرة علمية وهي عدم إمكان المعجزات! ومن أجل ذلك قال: إن محمد ﷺ لا معجزة له غير القرآن»[42]، ويقصد به محمد حسين هيكل صاحب كتاب (حياة محمد) وقال عنه في موضع آخر: «انتهى ما رأينا نقله من كلمات هيكل باشا في مقدمة كتابه، وقد أطلنا في النقل عنه كما أطال هو فغي التدليل على أنه أحسن صنعا في تجريد (حياة محمد) عن المعجزات الكونية».[43]

2- الرد على منكري المعجزة الحسية:

بعدما بين مصطفى صبري أسباب إنكار المعجزة الحسية وركز على شخصيتين من عصره تولى الرد عليهما بالخصوص وعلى من سلك سبيلهما في الإنكار.

الرد الأول: (الرد على منكري المعجزة الحسية بسبب عقلي)

وهذا الرد يتناسب مع السبب الأول وهو سبب يرجع إلى العقل ومن أحكام العقل المستحيل فبنوا هذا الإنكار على حكم عقلي وهي أن وقوع المعجزة الحسية من المستحيلات العقلية حيث رد عليهم مصطفى صبري بقوله: «والنظام الأول العام هو الذي يسمونه القوانين الطبيعية والذي يزعم منكرو المعجزات أنه لا يمكن تغييرها، ومعنى كونها قوانين أنها قضايا كلية مطردة الصدق اطرادا عاديا غير بالغ مبلغ الضرورة والوجوب، فلا يكون خلافه محالا عقليا؛ لأن تلك القضايا مبنية على التجربة والتجربة مهما أطردت نتائجها وتبجح العلم الحديث وهواته بالاستناد إليها فلا تكفي في استناد القضية الضرورية إليها لأنها إنما تدل على العادة لا على الضرورة المنطقية، فإن كانت الضرورة شرطا في القانون ولم يكف اطراد الصدق عاديا فليس هناك شيء يصح ان يقال «قوانين طبيعية»...»[44]، حيث بين لهم عدم استحالة خرق قوانين الطبيعة مفرقا بين ما هو عادي وما هو ضروري وواجب فهذه القوانين عرفت عن طريق الدليل العادي أو الحكم العادي الذي يستند إلى التجربة والتكرار من خلال الملاحظة والتتبع والاستقراء في الكون فهذا الترابط أنتج حكما عاديا وليس حكما ضروريا أو واجب عقليا فقوانين الطبيعة قوانين عادية وليست ضرورية أو واجبة، ثم دعم قوله بأقوال فلاسفة الغرب الذين أنبهر بهم منكروا المعجزة الكونية قال مصطفى صبري: «ولذلك أنكر الفيلسوف "هيوم"[45]، العلم، واجتهد "كانت"[46]، في أن يجعل قوانين العلم أي العلم الحديث المبني على التجربة ضرورية فلم ينجح»[47] ثم ساق بعض أقوال الفلاسفة منهم "ليبنيتز"[48]، حيث قال: «ليست القوانين الطبيعية عنيدة محضة،ولا ضرورية بالضرورة الهندسية»[49]، كما أورد صبري مثالا ضربه الفيلسوف"ليبنيتز" فقال: «ما يدار بالماكينة حسن لكنه غير ضروري» [50]، وقد أورد أقوالا أخرى وعلق عليها مصطفى صبري في هذا المجال[51]، وبذلك

يبطل مصطفى صبري قول من قال أن المعجزة الكونية الحسية مستحيلة الوقوع؛ لأنها من المحالات العقلية، فبين أن خرق القوانين الكونية لا يدخل في المحال العقلي وإنما يدخل في المحال الطبيعي الذي عبر عنه مصطفى صبري بأنه يوجد محال عقلي ولا يوجد محال تجريبي.[52]

الرد الثاني: (الرد على منكري المعجزة الحسية بسبب حسي)

وهذا الرد موجه لمن أنكر المعجزة الحسية بسبب يرجع إلى الحس؛ لأنهم يعتمدون على الحواس الخمسة للإنسان التي تعتبر مصادر المعرفة وطرق موصلة للعلم المادي المحسوس كالاتصال بالعالم المشهود وهو الكون وما لاحظوه من انتظامه واتساقه وفق قوانين الطبيعة وهي سنن الله تعالى في خلقه فقالوا أنه لا يمكن خرق هذه القوانين ولم يحصل في السابق ذلك وإن حصل اختل نظام الكون والمعجزة الحسية الكونية هي من هذا الصنف الخارق للكون فحصولها مستحيل فهو مصادم لقوانين الطبيعة فرد عليهم مصطفى صبري بقوله: «فنقول للمنكرين وهم يدعون أنهم يؤمنون بالله، أليس واضع النظام هو الله؟ فكيف تقيدون الله بالنظام الذي هو واضعه بقدرته وإرادته واختياره؟ فهل يكون القادر المختار عاجزا عن تغيير ما وضع؟ أما أنه لم يغيره فيما رأيناه وهو سنته التي لن تجد عنها تحويلا فذلك بالنسبة إلينا، ومعناه أنا لا نقدر على تبديل سنة الكون، فلا تكون النار إلا حارة محرقة لكل ما من شأنه الاحتراق بموجب نظام العالم ومصلحتنا في استمرار نظامه أنا نعتمد عليه مطلقا في أمورنا وحاجتنا وتحصيل لنا منه القواعد مضبوطة ولكن نظام النار هذا مثلا الذي نحن مقيدون به- لا خالق النار وواضع نظامها- ليس بمانع أن يجعلها الله بردا وسلاما على نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام، تأييدا لرسالته من عنده»[53]،حيث بين لهم مصطفى صبري أن خالق الكون وواضع قوانينه لا يستحيل عليه خرقها، واستدل بمعجزة إبراهيم عليه السلام والتي ذكرت في القرآن الكريم،ودعم كلامه كذلك بأقوال فلاسفة الغرب الذين اقتدوا بهم بعض مستغربي العرب والمسلمين،فأورد مصطفى صبري قول الفيلسوف (مالبرانش) حيث قال: «ليست العلة الحقيقة إلا واحدة لأن الإله واحد والقوة التي في الطبيعة في كل شيء عبارة عن إرادة الله،

فالاعتراف مثلا بأن الشمس تعطي الحركة والحياة للأشياء يكون شركا، وباستطاعة الملائكة والمقربين لو اجتمعوا لتحريك ورقة من أوراق شجرة يكون تناقضا»[54]، حيث أكد الفيلسوف (مالبرانش) بأن واضع قوانين الطبيعة واحد وهو الله تعالى قادر على تغييرها وحده فقط.

وبعد رده على المنكرين للمعجزة الكونية حسب سبب الإنكار كل على حدة منه ما يرجع إلى سبب عقلي ومنه ما يرجع إلى سبب حسي، وفي نهاية رده جمع بينهما فقال: «كما قلنا هنالك في مسألة وجود الله نقول في مسألة المعجزات: عن الحكم فيها بالإمكان والاستحالة لا يدخل في اختصاص العلم الطبيعي، نعم من اختصاصه الحكم بأن المعجزات تخالف سنة الكون بشرط أن لا يجاوز حكمه هذا إلى الحكم باستحالة المخالف لسنة الكون؛ لأن هذا العلم لا يعرف المحال ولا الممكن ولا الواجب بميزانه الذي هو التجربة الحسية وإنما يعرف الواقع وغير الواقع في زمن التجربة»[55] ،حيث فرق بين أحكام العقل الثلاثة (الواجب، المستحيل، الممكن) وحكم العلم وهو التجربة الحسية، فالعقل أحكامه تختلف عن أحكام العلم كما عبر عنه مصطفى صبري آنفا بأنه يوجد محال عقلي، ولا يوجد محال تجريبي وبين أن قوانين الطبيعة قوانين عادية وليست ضرورية أو واجبة، فالحكم بالإمكان والاستحالة والوجوب ليس من أحكام العلم الطبيعي بل هي من أحكام العقل، والعلم الطبيعي الذي يعتمد على التجربة فهو يحكم على الواقعة حين وقوعها فإذا وقعت المعجزة فحكم عليها بأنها مخالفة لسنن الكون فقط، وهذا ما يلاحظه العلم؛ ولكن هذه المخالفة ليست مستحيلة، فقد وقعت المعجزات في زمن الأنبياء عليهم السلام هو سر جريانها على أيديهم لتصديقهم وهي فعل الله تعالى والله تعالى لا يستحيل عليه فعل شيء فواضع قوانين الكون هو نفسه الذي يستطيع تغييرها ثم يواصل مصطفى الرد على الطرفين معا باعتبارهما مسلمين وآمنوا بالمعجزة القرآنية فقط دون غيرها فقال: «ماذا هو الباعث على إثبات معجزة عقلية وهي القرآن لمحمدﷺ ونفي كل معجزة كونية عنه؟...»[56]، بعد طرحه لهذا التساؤل تولى الإجابة عنه قائلا: «فلا فرق إذن بين المعجزة العقلية والمعجزة الكونية، فكليهما محال عند الملاحدة القائلين باستحالة المخالفة لسنة الكون وكلاهما ممكن الوقوع عقلا عند المسلمين بحول الله وقوته»[57] ، فيتعجب من بعض

مفكري المسلمين المستغربين كيف يؤمنون بمعجزة القرآن العقلية ولا يؤمنون بمعجزات الأنبياء عليهم السلام الحسية الكونية، فبين أن المعجزة مهما كان نوعها فهي مستحيلة عند الملاحدة، وأما عند المسلمين فهي من الممكنات العقلية وليست من المستحيلات وقد وقعت في أزمان الأنبياء عليهم السلام وذكر القرآن أصنافا منها إلا أن المستغربين من المسلمين المتأثرين بالمستشرقين والمنبهرين بعلماء وفلاسفة الغرب ومنهجهم التجريبي أنكروا المعجزات الحسية وإن وردت في القرآن فأولوها بما يناسب منهجهم العقلي الذي لا يصادم العلم والمنهج التجريبي ولكن الله تعالى سخر لهذه الأمة من يدافع عن دينها وعقيدتها لصد هذه الهجومات من خصومها أمثال الشيخ مصطفى صبري رحمه الله تعالى فقد أحسن الرد وأفحم الخصم، بأدلة عقلية ومنطقية وعلمية مدعمة بأقوال بعض فلاسفة الغرب بما يتناسب مع عصره الذي عاش فيه مع هؤلاء الخصوم.

الخاتمة

بعد عرضنا لمفهوم المعجزة ودلالتها على إثبات رسالة الرسول ﷺ عند مصطفى صبري ورده على منكري المعجزة الحسية بأدلة عقلية ومنطقية وعلمية يمكننا أن نستخلص نتائج الموضوع كالآتي:

1. اعتمد مصطفى صبري في تعريفه للمعجزة الكونية على شرط أساسي وهو أن تخرق نظام العالم.

2. بين مصطفى صبري أن وجه دلالة المعجزة على إثبات رسالة الرسول ﷺ أنها تنزل منزلة القول من الفعل المثبت لصدقه.

3. ركز مصطفى صبري في استدلاله على إثبات رسالة الرسول ﷺ على الدليل العقلي بجانب الدليل التجريبي.

4. بين مصطفى صبري أن الدليل العقلي أقوى من الدليل التجريبي وعلل ذلك بان الأول يثبت به وجود الله تعالى الواجب الوجود والثاني الرسول ﷺ الممكن الوجود.

5. استدل مصطفى صبري بأن نظام الكون دليل على وجود الله تعالى ونقض إحدى قوانينه استثناء عن طريق المعجزة دليلا على إثبات رسالة الرسول ﷺ.

6. استنتج مصطفى صبري أن تأييد الله تعالى الأنبياء عليهم السلام بالمعجزات يعتبر من سنن الله الكونية.

7. استنتج مصطفى صبري ان قوانين الكون والمعجزة الكونية الخارقة لقوانينه كلاهما سنن كونية، وهما متضادان دليل على أن خالقهما واحد وهو الله تعالى القادر على خلق الأضداد كالبرودة والحرارة.

8. بين مصطفى صبري أن المعجزة الكونية تستند في وجودها إلى الله تعالى لتأييد رسوله ﷺ لإثبات صدقه.

9. بين مصطفى صبري أن سبب إنكار المعجزة الكونية من قبل بعض المستغربين من المسلمين يرجع إلى أمرين أساسيين الأول المتمثل في أنها من المستحيلات العقلية، والثاني أنها مخالفة لقوانين الطبيعة.

10. تولى مصطفى صبري الرد على منكري المعجزة الكونية بأدلة عقلية منطقية وعلمية مع تدعيم أقواله بأقوال فلاسفة الغرب.

11. فرق مصطفى صبري بين أحكام العقل وأحكام العلم الطبيعي الذي يستند إلى التجربة الحسية والواقع وخلص إلى أنه يوجد محال عقلي ولا يوجد محال تجريبي.

12. وفي أخر ردوده تساءل صبري كيف ينكرون المعجزة الكونية مع إيمانهم بالمعجزة القرآنية وهي معجزة عقلية فأجاب عن ذلك بأنه لا فرق بينهما فكلاهما من عند الله تعالى.

13. فرق مصطفى صبري بين الملحدين والمسلمين فالملحد أن المعجزة عنده سواء كانت عقلية أو كونية فهي مستحيلة الوقوع؛ لأنها مخالفة لسنة الكون، وأما المسلم فكلاهما ممكن الوقوع عقلا بقدرة الله تعالى.

ـ الحواشي والإحالات:

[1]- مصطفى صبري (ت 1945م) أحد علماء تركيا ولد بها ونشأ وتعلم تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية قبل سقوطها قاوم الحركة الكمالية بعد الحرب العالمية الأولى ثم هاجر إلى مصر مع أسرته سنة 1922م، واستقر بها وعاصر كل من حسين هيكل وفريد وجدي وطه حسين إلى وفاته سنة 1945م صنف عدة مؤلفات منها: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين (4أجزاء)، موقف البشر تحت سلطان القدر، مسألة ترجمة القرآن، انظر: ترجمته في الزركلي(خير الدين)الأعلام،ط3،(د.ت)، 137/8.

[2]- أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998م، ص141

- ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997م، 262/4 (مادة عجز)
- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1979م، (مادة عجز)، ص413.
- ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، تح: مصطفى السقا وحسين نصار، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر 1958م، (مادة عجز)179/3.
- أحمد السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1996م، 31/3.
- حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2017م، ص866.
- أحمد بن فارس، معجم المقاييس في اللغة، تح: شهاب الدين أبو عمرو، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2011م، ص738.
- أحمد الفيومي، المصباح المنير، د ط، دار الحديث، القاهرة، مصرة، 2008م، ص245.
- مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2014م، ص394.
- مجموعة من المؤلفين بإشراف محي الدين صابر، المعجم العربي الأساسي، دط، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طباعة مؤسسة (لاروس) فرع تونس، تونس، 1989م، ص822.
- مجموعة من المؤلفين بإشراف كرم البستاني، المنجد في اللغة والأعلام،ط31،منشورات دار المشرق، بيروت، لبنان،1991م،ص488

[3]- الجرجاني(السيد الشريف)،التعريفات، تح: محمد علي أبو العباس،دط، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة،مصر،2014م،ص215

- مجموعة من المؤلفين (بإشراف أحمد راتب عرموش)، موسوعة الأديان الميسرة، ط4، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2007م، ص453.
- التفتازاني (سعد الدين)، شرح المقاصد، تح: عبد الرحمان عميرة ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1998م، 11/5.
- الجرجاني (السيد الشريف)، شرح المواقف، تح: محمود عمر الدمياطي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م، 246/8.

- الماوردي، أعلام النبوة، تح: سعيد محمد اللحام، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1989، ص42.

[4]- مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين،ط1،دار الآفاق العربية، القاهرة،مصر،2006م، 28/4.

[5]- ابن خمير السبتي (أحمد بن علي)، مقدمات المراشد، تح: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، مصر، 2008، ص213.

- التفتازاني، شرح المقاصد، 5/11-12، مصدر سابق

- الجرجاني شرح المواقف، ، 8/246-251، مصدر سابق

- الماوردي، أعلام النبوة، ، ص43، مصدر سابق

- الميداني (حسن عبد الرحمان حبنكة)، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط11، دار القلم، دمشق، 2003م، ص300.

- التهامي (إبراهيم)، العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة، دط، دار قرطبة، الجزائر، 2012م، ص150.

[6]- مصطفى صبري، موقف العقل، 30/4، مصدر سابق

[7]- المصدر نفسه، 30/4.

[8]- المصدر السابق، 31/4.

[9]- المصدر نفسه، 31/4.

[10]- المصدر نفسه، 28/4.

[11]- المصدر نفسه، 26/4.

[12]- سورة الإسراء، الآية 88.

[13]- مصطفى صبري، موقف العقل، 24/4.

[14]- المصدر نفسه، 24/4-25

[15]- للعقل أحكام ثلاثة هي (واجب، ممكن، مستحيل)، وأن واجب الوجود على الإطلاق هو الله تعالى، وغيره من المخلوقات ممكن الوجود، والمستحيل هو وجود إلها مع الله تعالى، انظر المزيد: حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة، ط6، دار القلم، دمشق، سوريا، 2002م، ص317-327.

[16]- مصطفى صبري، موقف العقل، 30/4، ذكره بالهامش

وفي هذا المعنى قال ابن رشد (الحفيد): «فأما المقدمة القائلة: إن المدعي الرسالة ظهرت عليه معجزة، قلنا: أن نقول: إن هذه المقدمة تؤخذ من الحس»انظر: ابن رشد (الحفيد) مناهج الأدلة في عقائد الملة، تح: محمود قاسم، ط3، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر 1969م، ص468.

[17]- قال ابن رشد (الحفيد) في معرض حديثه عن دلالة المعجزة: «فيقضي العقل قضاء كليا وباتا على أن هذه الطبيعة لا يمكن أن تتغير ولا أن تنقلب فلو كان الخصم قد اعترف بوجود رسول واحد في وقت من الأوقات لظهر أن الرسالة من الأمور الجائزة الوجود » انظر: ابن رشد (الحفيد)، مناهج الأدلة، ص211، مصدر سابق

[18]- يقول ابن الذاغوني في كلامه عن دلالة المعجزة على النبوة: «والدلالة على نبوته ظهور المعجزة على يديه وذلك أن المعجزة هي دليل النبوة والرسالة، وإنما سميت دليل النبوة والرسالة معجزة من جهة أنه يعجز عنه جميع العباد إلا

بمعونة من الله تعالى الواحد تخص به ويحصل له بطريق إلهي فهو بذلك ناقض للعادات خارج عن المعهود والمتعارف الذي تنتهي القدرة إلى مثله أو إلى ما يقاربه» انظر: ابن الذاغوني، الإيضاح في أصول الدين، تح: أحمد عبد الرحيم السائح وإحسان عبد الغفار مرازا، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، 2004م، ص468.

- ويقول عبد القاهر التميمي في هذا المعنى: «النبي لابد له من إظهار معجزة تدل على صدقه، فإذا أتى بها وبان لقوله وجه الإعجاز لزمهم تصديقه» انظر: عبد القاهر التميمي، أصول الإيمان د.ط، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2003م، ص140.

[19]- مصطفى صبري، موقف العقل، 27/4، مصدر سابق

[20]- المصدر نفسه، 155/4.

[21]- يقول الشهرستاني في حديثه عن دلالة المعجزة: «أما الخارق للعادة فيختص بدعواه، أما من حيث القرينة فمثل اقتران حمرة الوجه، بالخجل، وصفرته بالخوف، وأما من حيث الدلالة فإنه اختصاص وقوع الخارق بوقت معين وهو وقت التحدي وبدعوى المدعي، إنما يدل على قصد المختص إلى التصديق» انظر: محمد حسين أبو سعدة، الشهرستاني ومنهجه النقدي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002م، ص463

[22]- للمزيد انظر: محمد نبيل طاهر العمري، النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية، ط1، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ص204 وما بعدها.

[23]- مصطفى صبري، موقف العقل، 25/4، مصدر سابق.

[24]- سورة آل عمران، الآية 49.

[25]- مصطفى صبري، موقف العقل، 126/4.

[26]- يقول الماوردي في معرض كلامه عن دلالة المعجزة: «وإذا كان حجج الأنبياء على أممهم هو المعجزة الدالة على صدقهم فالمعجز ما خرق عادة البشر من خصال لا تستطيع إلا بقدرة إلهية تدل على أن الله تعالى خصه بها تصديقا على اختصاصه برسالته،فيصير دليلا على صدقه في إدعاء نبوته». انظر: الماوردي، أعلام النبوة، ص42، مصدر سابق.

- وفي هذا المعنى يقول الفخر الرازي: «هو أن المعجزات لما عجز الخلق عنها كان ذلك فعلا من أفعال الله خلقه عقيب دعواه، وخلق المعجزة عقيب الدعوى، يدل على تصديق مدعي الرسالة» انظر: الفخر الرازي، كتاب الأربعين في أصول الدين، تح: أحمد حجازي السقا، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2004م، ص309.

[27]- مصطفى صبري، موقف العقل، 28/4.

[28]- مالبرانش(نقولا): هو فيلسوف فرنسي ولد سنة 1638م أنكر إمكان اتصال العقل بالمادة حيث قال: «إن الحس والخيال فينا ليس منا ولكن من الله»، حيث جعل فكرة النظام أساس الأخلاق، له كتاب (طلب الحقيقة) توفي سنة 1715، ترجمته في منجد الأعلام، ص514، مصدر سابق، والموسوعة الفلسفية المختصرة الانجليزية، ترجمة مجموعة من المترجمين بإشراف زكي نجيب محمود،دار القلم، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص449.

[29]- مصطفى صبري، موقف العقل، 33/4، مصدر سابق.

[30]- استوارت مل (جون): هو فيلسوف انجليزي ولد في لندن سنة 1806م، من أتباع المدرسة الاختبارية في المنطق الاستدلالي والاستنتاجي، وله كتاب (مذهب في المنطق القياسي والاستقرائي) ويعتبر كذلك اقتصادي وله

كتاب(الاقتصاد السياسي)توفي سنة 1843م، ترجمته في المنجد في اللغة والعلام، ص564 مرجع سابق، والموسوعة الفلسفة المختصرة، ص441، مرجع سابق.

[31]- مصطفى صبري، موقف العقل، 4/31، بالهامش، مصدر سابق.

[32]- مصطفى صبري، موقف العقل، 4/31، بالهامش، مصدر سابق.

[33]- يقول موفق جوجو في هذا المعنى: «إن المعجزة الحسية ليست شرطا من شروط النبوة، إلا أنها دليل قوي على النبوة، وعلى الرغم من أن المعجزة ما تجري على يد بني من الأنبياء إلا أنها في نفس الوقت ليست مرتبطة بإرادة النبي نفسه، بل بإرادة الله تعالى» انظر: موفق جوجو، قوانين النبوة، ط2، دار المكتبي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 2009م، ص292.

[34]- وقد سبق المتكلمون فلاسفة الغرب في هذا المجال، قال مصطفى صبري: «وقال المتكلمون من الأشاعرة قبل"مالبرانش" ونعم ما قالوا:"إن الكائنات بأجمعها مستندة إلى الله تعالى من غير واسطة"...» انظر: موقف العقل، 4/31 بالهامش.

- وفي هذا المعنى قال التفتزاني: «إن بينا أن لا مؤثر في الوجود إلا الله وحده، سيما في مثل إحياء الموتى وانقلاب العصا حية وانشقاق القمر، وسلام الحجر والمدر على أن مجرد التمكين وترك من قبل الحكيم القادر المختار كاف في إفادة المطلوب، ولهذا ذهب المعتزلة إلى أن المعجزة تكون فعلا من الله تعالى أو واقعا بأمره أو بتمكينه» انظر: شرح المقاصد5/17، مصدر سابق.

- كذلك قال الإيجي في هذا المعنى في حديثه عن المعجزة: «عندنا أنه الفاعل يظهرها على يد من يريد تصديقه بمشيئته لما تعلق به مشيئته» شرح المواقف8/251 مصدر سابق.

[35]- محمد فريد وجدي (هو بن مصطفى وجدي): هو أديب وصحافي مصري ولد سنة 1878م بالإسكندرية، ونشأ بها من أعماله إصدار مجلة (الحياة) كذلك تأليف كتابه الموسوعي (دائرة معارف القرن العشرين) حيث اشتهر به، وقد عاصر كل من حسين هيكل ومصطفى صبري،وطه حسين توفي سنة 1954م، ترجمته في الأعلام 7/220 مصدر سابق، المنجد في اللغة والعلام، ص611 مصدر سابق.

[36]- محمد حسين هيكل: هو صحفي وسياسي مصري ولد سنة 1888م بمصر، وقد عاصر كل من فريد وجدي ومصطفى صبري وطه حسين، تولى وزارة المعارف عدة مرات، يعتبر رائد الرواية العربية اشتهر براويته (زينب) وله كتاب (حياة محمد) توفي سنة 1956م ترجمته في المنجد في اللغة والعلام، ص606 مرجع سابق.

[37]- مصطفى صبري، موقف العقل، 4/128، مصدر سابق.

[38]- المصدر السابق، 4/192.

[39]- المصدر السابق، 4/30.

[40]- المصدر السابق، 4/129.

[41]- المصدر السابق، 4/29.

[42]- المصدر السابق، 4/60.

[43]- المصدر السابق، 4/79.

[44]- المصدر السابق، 4/29.

[45]- هيوم (دافيد): هو فيلسوف ومؤرخ انجليزي ولد سنة 1711م، باسكتلندا، يعتبر منشئ الفلسفة الظاهرية، له كتاب (محاولات في الإدراك البشري)، حيث يعتبر أن العقل يتألف من إدراكات حسية تتمثل في الانطباعات والأفكار توفي سنة 1776م، ترجمته في: المنجد في اللغة والأعلام، ص607، مرجع سابق، الموسوعة الفلسفية المختصرة، 525، مرجع سابق.

[46]- كانت (عمانوئيل): فيلسوف ألماني ولد سنة 1724م بكونجسبوج، من فلسفته أنه وضع العقل في صلب الوجود ومحوره،كذلك من فلسفته أن العقل يفعل في الإطار النظري والعلمي الأخلاقي، له كتب منها:(نقد العقل المحض)، (نقد العقل العلمي)، (نقد الحكم) توفي سنة 1804م، ترجمته في: المنجد في اللغة والأعلام، ص455، مرجع سابق، الموسوعة الفلسفية، ص329، مرجع سابق.

[47]- مصطفى صبري، موقف العقل، 4/29، مصدر سابق.

[48]- ليبنيتز (جوتفريد فلهلم): هو فيلسوف ورياضي ومخترع ألماني، ولد سنة 1646م، من اكتشافاته اكتشاف أسس التحليل الحسابي، وهو من أتباع الفلسفة المثالية، اشتهر بنزعته التفاؤلية، توفي سنة 1716م، ترجمته في: المنجد في اللغة والأعلام، ص502 مرجع سابق، الموسوعة الفلسفية، ص373، مصدر سابق.

[49]- مصطفى صبري، موقف العقل، 4/29، مصدر سابق.

[50]- المصدر نفسه، 4/29.

[51]- من أقوال الفلاسفة التي ساقها مصطفى صبري في هذا المعنى هي كالآتي:

- قال (أميل سسه): «إن العلم مع كونه ترقى كثيرا في مطالعة الطبيعة لم يثبت في وقت من الأوقات ان القوانين الطبيعية قوانين ضرورية هندسية» حيث علق مصطفى صبري على كلامه فقال: «يعني أنها ليست مستحيلة التغيير » موقف العقل 4/29، بالمتن.

- قال (هوكسله): «أنا لا أعلم محالا غير التناقض ولهذا يوجد محال منطقي ولا يوجد محال طبيعي» ثم علق عن كلامه مصطفى صبري فقال: «وفي هذا المعنى كنت قلت فيما سبق يوجد محال عقلي ولا يوجد محال تجريبي» موقف العقل 4/29، بالمتن.

[52]- مصطفى صبري، موقف العقل، 4/29، مصدر سابق.

[53]- المصدر السابق، 4/28.

[54]- المصدر السابق، 4/34.

[55]- المصدر السابق، 4/105.

[56]- المصدر السابق، 4/95.

[57]- المصدر السابق، 4/96.

The cosmic miracle and its significance when Mostafa Sabri

By : Mohammed amara / Pro. Larbi Bencheikh

Batna 1 University & El-Oued University

Abstract:

This article was part of my contract, which showed the position of the mind of the cosmic miracle, which was the strongest evidence of the Prophet's message by Allah the allmighty to his people, also it is as proof for some the Muslims thinkers which were affected by Western thought, and led them to deny the cosmic miracle because of the violation of reason and laws of nature and experimental science Which looks at the material and the specials.

Keywords: The cosmic miracle ; The message ; The mental argument The empirical argument ; Mostafa Sabri.